في عظيم حيائه

صلى الله عليه وآله وسلم

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ٢٩٧ حتى الصفحة ٣٠٢

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

في عظيم حيائه ﷺ

كان رسول الله ﷺ أعظمَ الناس حياء ، لأنه أعظمُهم إيماناً ، وقد قال ﷺ : « الحياء من الإيمان »[1] .

وفي (الصحيحين) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرها) .

---

(١) تمامه : (والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار) رواه أحمد بـ (رجال الصحيح) والترمذي وابن حبان في (صحيحه) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح اهـ (ترغيب) المنذري .

وفي رواية البخاري : (وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه ﷺ) .

ومن المعلوم أن المرأة العذراء ، وهي البكر المستترة في خدرها ـ أي : في ناحية بيتها أو خيمتها ـ تكون شديدة الحياء ، فلقد كان رسول الله ﷺ أشد حياء منها .

والحياء خُلُق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذى الحق ، ولذلك قال ﷺ : « استحيوا من الله حقّ الحياء » .
فقالوا : إنا لنستحيي من الله والحمد لله .

قال ﷺ : « ليس ذلك ، ولكن الحياء من الله هو : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى » إلى تمام الحديث ـ كما تقدم في جملة الأربعين ، وفيه بيان أن الحياء يحمل صاحبه على فعل الكمال ، ويمنعه من النقصان .

وقال ﷺ : « الحياء لا يأتي إلا بخير » كما في البخاري .

وقد بلغ من حيائه ﷺ أنه لم يواجه أحداً بما يكرهه ، بل يعرّض بذلك ، أو يأمر بعض الصحابة من يصارح بذلك الرجلَ المقصِّر :

روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه ، فدخل عليه يوماً رجل وعليه أثر صُفرة ، فلما قام قال لأصحابه : « لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة » .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان

رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان ، ولكن يقول : ما بال أقوامٍ يقولون كذا وكذا) .

ومن ذلك حياؤه ﷺ من القوم الذين أطالوا الجلوس عنده بعد الأكل ، فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا ، حتى نزلت الآية في ذلك .

كما في (صحيح) البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال : (كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب ، فقالت لي أم سُليم : لو أهدينا إلى رسول الله ﷺ هدية .

قال أنس : فقلت لها : افعلي .

فعمَدتْ إلى تمر وسمن وأقِط ، فاتخذتْ حَيْسة في بُرْمة فأرسلت بها معي ، فانطلقتُ بها إليه .

فقال : « ضَعْها » ثم أمرني فقال لي : « ادعُ رجالاً ـ سماهم ـ وادعُ لي مَن لقيتَ » ففعلت الذي أمرني .

فرجعت فإذا البيت غاص بأهله ، ورأيت رسول الله ﷺ وضع يده في تلك الحَيْسة ، وتكلم بما شاء الله ، ثم جعل يدعو عَشَرةً عشرةً يأكلون منه ، ويقول لهم : « اذكروا اسم الله ، وليأكلْ كل رجل مما يليه » حتى تصدَّعوا كلهم .

وفي رواية مسلم : قيل لأنس : عَدَدَكَمْ كانوا ؟

قال : زُهاء ثلاثمائة ـ فخرج من خرج ، وبقي نفر يتحدثون .

وفي رواية مسلم : وكان النبي ﷺ شديدَ الحياء ـ أي : استحيا أن

يقول لهم انصرفوا ـ ثم خرج النبي ﷺ نحو الحُجُرات ، وخرجتُ أثَرَه ، فقلت : إنهم قد ذهبوا .

فرجع النبي ﷺ فدخل البيت وأرخى السِّتر وإني لفي الحجرة ، وهو يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا : لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يُؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكنْ إذا دُعيتم فادخلوا ، فإذا طَعِمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يُؤذي النبي ، فيستحيي منكم ، والله لا يستحيي من الحق . . ﴾ الآية) .

والمراد أنه ﷺ يستحيي حياءَ كرم أن يقول لهم انصرفوا ، وهم جلوس عنده ، والله لا يستحيي من بيان الحق الواجب اتباعُه ، وهذا لا ينافي أنه سبحانه متصف بحياء الكرم اللائق بمقام ربوبيته تعالى ، كما قال ﷺ : « إن ربكم حييٌ كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صُفْراً » أي : خاليتين ـ رواه الترمذي وغيره .

فباعتبار أن إطالة الجلوس كانت عنده ﷺ في بيته استحيا منهم أن يُصارحهم في الأمر ، كرماً منه ، ولكن الموقف يتطلب بيان الحق في ذلك لا محالة ، فجاء القرآن بالبيان ؛ من الملك الديَّان ؛ جل وعلا .

وقد ذكر العلماء للحياء أنواعاً لتنوّع أسبابه :

فمن ذلك : حياء الكرم ، وسببه كرم النفس ، كاستحيائه ﷺ من القوم لما أطالوا الجلوس عنده ، كما تقدم .

ومن ذلك : حياء الإجلال : وهو حياءٌ سببه المعرفة بعظمة المستحيا منه ، وعلى قدر معرفة العبد بربّه يكون حياؤه سببه منه سبحانه .

ولا ريب أنه ﷺ أعلم خلق الله تعالى ، بالله تعالى وبعظمة ربوبيته ، كما تقدم في حديث الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « أما والله إني لأعلمُكم بالله ، وأتقاكم له » .

ومن ذلك : حياء المحبة : وهو حياء المحبِّ من محبوبه ، حتى إنه لتمرُّ على قلب المحب ذكريات المحبوب فتزيده حياءً ووَجَلاً من محبوبه .

ومن ذلك : حياء العبودية : وهو حياء يمتزج بين محبةٍ وخوفٍ ، ومشاهدةِ أن قدر معبوده سبحانه ، هو أجلُّ وأعلى من العبادة والعبودية التي يتقرب بها إليه .

ومن ذلك : حياء المرء من نفسه : وهو حياء صاحب النفس الشريفة الكريمة ، من النقص وفعل القبيح ، والقناعة بالدون ، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه ، حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى .

ومن ذلك : حياء الحشمة : وهو حياءٌ سببه الاحتشام ، وتوقي إبداء ما يُطلب فيه الاخفاء .

روى ابن ماجه عن بلال بن الحارث رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان إذا أراد الحاجة أبعَدَ) - أي : قصد مكاناً بعيداً منعزلاً[1] .

وروى الترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ

---

(١) ورواه الإمام أحمد والنسائي ، كما في (الجامع الصغير) ، رامزاً لصحته لكثرة طرقه .

كان إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنوَ من الأرض)[1] .

وروى ابن سعد عن سعد بن صالح مرسلاً : (أن النبي ﷺ كان إذا دخل المرفق[2] لبس حذاءه ، وغطى رأسه ﷺ) .

وروى الإمام الترمذي في (الشمائل) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما نظرتُ إلى فرج رسول الله ﷺ ـ أو قالت : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ) ، وذلك لشدة حيائه وكمال وقاره ﷺ وتستُّره كل التستُّر .

وفي (شرح الشمائل) للشيخ القاري والشيخ محمد بن قاسم جسوس : روى أبو صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قالت عائشة رضي الله عنها : ما أتى رسول الله ﷺ أحداً من نسائه إلا مُقنَّعاً ، يُرخي الثوب على رأسه ، وما رأيت من رسول الله ﷺ ولا رأى مني) ، أورده ابن الجوزي في كتاب (الوفاء) نقلاً عن الخطيب اهـ .

وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ﷺ يغتسل من وراء الحجرات ، وما رأى أحد عورته قطُّ) . وإسناده حسن[3] .

وبهذا الذي ذكرناه فيما تقدم ، يعلم العاقل يقيناً أن سيدنا محمداً ﷺ قد نال أكمل مراتب الحياء وأعلاها .

---

(١) رواه الطبراني في (الأوسط) ، كما في (الجامع الصغير) .

(٢) قال المناوي : المرفق بكسر الميم وفتح الفاء : الكنيف اهـ . والحذاء : النعل ـ وهذا الحديث فيه ضعف .

(٣) كذا في (جمع الوسائل) للشيخ علي القاري .